دراسات إفريقية

مجلة بحوث نصف سنوية

فى هذا العدد :

- رتشارد هِلّ : مؤرخ العهد التركى المصرى فى السودان
  بروفيسور/ يوسف فضل حسن
- التعليم العربى الإسلامى فى جمهورية تشاد تاريخه وآفاقه
  د. مصطفى أحمد على
- مقاصد الهجرة فى ظل التوجه الحضارى
  د. حسن مكى
- تصور لتأصيل المنهج الجامعى فى السودان
  د. حسن عبد الرحمن الحسن
- واقع استخدام الحواسيب فى السودان وملاءمة الحاسوب الدقيق للبيئة السودانية
  د. عوض حاج على أحمد
- فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين
  د. صالح محمد فياض أبو دياك

العدد السادس عشر يناير ١٩٩٧م رمضان ١٤١٧هـ

نبذة عن المجلة

دراسات إفريقية مجلة متخصصة تعني بالدراسات الإفريقية في مختلف العلوم الإنسانية غير أنها تولي عناية خاصة لواقع الإسلام والمسلمين في الأقطار الإفريقية غير العربية وهي تعمل على تشجيع البحوث في القضايا المتصلة بالمجالات الآتية على وجه الخصوص:

١ ـ التعليم الإسلامي في إفريقيا.
٢ ـ اللغة العربية في إفريقيا.
٣ ـ انتشار الإسلام في إفريقيا.
٤ ـ الدعوةالإسلامية ونشاط الكنائس المسيحية في إفريقيا.
٥ ـ الخلفية التاريخية للمجتمعات الإفريقية المسلمة وأثرها في ممارسات المسلمين في إفريقيا.
٦ ـ العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين إفريقيا وبقية العالم الإسلامي.
٧ ـ التعريف بالمؤسسات العلمية التي تعمل في حقل الدراسات الإفريقية.

تصدر المجلة مرتين في العام. واللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة وتنشر بعض البحوث المكتوبة بالإنجليزية والفرنسية

تنشر البحوث المجازة من قبل محكمين مختصين ويمنح أصحاب البحوث المجازة حوافز إكرامية تقديراً لجهود كاتبيها ويعطي مؤلف البحث المنشور عشرين نسخة من مقاله.

تنشر المجلة مراجعات الكتب الصادرة حديثا في عالم الدراسات الإفريقية وتستعرض الرسائل الجامعية بالإضافة للأعمال التوثيقية كالببليوغرافيا.

يرجى من المؤلف أن يذكر نبذة تعريفية عن مؤلفاته وأبحاثه وعمله الحالي وعنوانه ويرفق خطابا يوضح أن بحثه لم ينشر من قبل في أية مجلة أو كتاب سواء أكان كاملاً أم بشكل مختصر ويتعهد بعدم تقديمه إلى أية جهة أخرى قبل أن تصدر المجلة قراراً بشأنهومن جهة أخرى تعمل هيئة التحرير على إصدار قرار في خصوص البحث في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ تسلمه.

لاتلتزم المجلة بإرجاع البحوث التي لاتنشر إلى أصحابها

تتراوح البحوث التي تنشر بالمجلة بين (٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠) كلمة ويرسل البحث مطبوعاً من نسختين. تكون الطباعة واضحة وعلى صفحة واحدة وتترك مسافات مزدوجة بين السطور كما يترك هامش على الجهة اليمنى بمقدار بوصة وربع البوصة ونفس المسافة على الجهة اليسرى في حالة البحوث المكتوبة بالحروف اللاتينية. تطبع الحواشي والمصادر على ورقة منفصلة في نهاية البحث ويشار إليها في صلب البحث بأرقام متسلسلة بين قوسين. تطبع الخرائط والبيانات والجداول في صفحات منفصلة بحيث لاتتجاوز أبعادها حجم الصفحة.

د. عبد الرحمن أحمد عثمان
رئيس التحرير

دراسات إفريقية

مجلة دراسات نصف سنوية يصدرها مركز البحوث
والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية
ص . ب . : ٢٤٦٩ الخرطوم ـ السودان

المقالات والبحوث المنشورة تعبر عن اراء كاتبيها ولاتعبر بالضرورة
عن آراء تتبناها هيئة التحرير او جامعة إفريقيا العالمية

التصميم والإخراج الفني
الوليد ابراهيم يوسف علي دينار

الطابعون :
دار جامعة افريقيا العالمية للطباعة

المشرف العام
البروفسير /عبد الرحيم علي محمد

رئيس هيئة التحرير
الدكتور / حسن مكي محمد أحمد

رئيس التحرير
الدكتور / عبدالرحمن أحمد عثمان

سكرتير التحرير
الأستاذ / يسن محمد الحسن الحبوب

أعضاء هيئة التحرير
الأستاذ / الناصر عبدالله أبوكروق
الأستاذ / وداعة محمد الحسن عكود
الأستاذ / حسن سيد أحمد الناطق
الأستاذ / تاج السر بشير
الأستاذ/ يوسف خميس أبورفاس

مستشارون

البروفسير / يوسف فضل حسن
البروفسير / عبدالله الطيب المجذوب
البروفسير / عثمان سيدأحمد إسماعيل
البروفسير / سيد حامد حريز
البروفسير /مدثرعبدالرحيم الطيب
الدكتور/أحمد خالد بابكر
الدكتور/الأمين أبو منقة
الدكتور/ عبداللطيف محمد البوني

التعليم العربي الإسلامي في جمهورية تشاد
تاريخه وآفاقه *

د . مصطفي أحمد علي **

تتميز جمهورية تشاد بموقع جغرافي يتوسط القارة الإفريقية ، وكانت بحكم هذا الموقع معبرا لطرق القوافل التي تصل شرق القارة بغربها ، وشواطيء المتوسط والصحراء الكبري بداخل القارة ، وكان من جراء ذلك أن شهدت هجرات واسعة وفدت إليها ، ولعل أهم هذه الهجرات التي أعطت هذا الإقليم ملامحه المتميزة وتوجهاته الحضارية والثقافية ، تلك الهجرات العربية التي وفدت من وادي النيل شرقا وبلاد المغرب شمالا ، حاملة معها الدين الإسلامي واللغة العربية بدءا من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، وبدأت تنداح مؤثراتها وتتسرب في هدوء ثم تتشكل مؤسساتها شيئا فشيئا وتتبلور بدءا من القرن السابع الهجري (الحادي عشر الميلادي ، في شكل دول وممالك كاملة المؤسسات ، ساهمت بقدر كبير في تاريخ الأمة الإسلامية وحضارتها وتحديد مستقبل المنطقة والأقاليم المجاورة لها حضاريا وثقافيا ، ويأتي في مقدمة هذه الدول والممالك الإسلامية التي بسطت نفوذها في هذه المنطقة من القارة الإفريقية ، سلطنتا كانم - برنو و وداي .

أما سلطنة كانم - برنو فيرجع تاريخ نشأتها إلي بداية القرن السابع الميلادي واتسع نفوذها فشمل الأقاليم الممتدة حول بحيرة تشاد وهي المنطقة التي تشكل في عصرنا هذا أجزاء كبيرة من جمهورية تشاد وجمهورية الكامرون وجمهورية النيجر وجمهورية نيجيريا الاتحادية ، ويقسم المؤرخون فترة حكها إلي حقبتين تاريخيتين -

* تم إعداد هذه الدراسة بتكليف من البنك الإسلامي للتنمية بجدة في إطار الإعداد لاجتماع يتناول موضوع إدخال الرياضيات والعلوم في مناهج المدارس العربية الإسلامية.

** المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

الحقبة البرناوية وتمتد من القرن السابع الميلادي إلي نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، وبلغت ذروة مجدها خلال هذه الحقبة في القرن الثالث عشر الميلادي ، الحقبة الكانمية وتمتد من بداية القرن الخامس عشر الميلادي إلي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، وبلغت المملكة ذروة مجدها خلال هذه الحقبة في القرن السادس عشر الميلادي ، وقد كانت هذه المملكة خلال حقبتيها التاريخيتين علي صلات وثيقة بمراكز الحضارة الإسلامية في القاهرة وطرابلس وتونس وتمبكتو وصكتو وأما سلطنة وداي فيرجع تاريخ نشأتها إلي القرن العاشر الميلادي ،وكانت تبسط نفوذها علي المنطقة الشرقية لجمهورية تشاد الحالية وتمتد حدودها إلي أم شعلوبة شمالا وتجاورها من جهة الشرق سلطنة دارفور ، وبلغت سلطنة وداي ذروة مجدها في مطلع القرن التاسع عشر ، علي عهد السلطان عبدالكريم بن محمد صالح الملقب بصابون (١٨٠٥ - ١٨١٣) وخضعت في بداية القرن العشرين للاستعمار الفرنسي.

وقد كان لسلطنة وداي دور بارز في نشر الإسلام واللغة العربية في المنطقة بوجه عام ، فقد كانت العربية لغة الحكام والرعية ، تستخدم في الشؤون العامة والرسمية ويتحدث بها السكان من عرب ومستعربين ، وكانت مملكة وداي علي صلات وثيقة بمراكز الحضارة الإسلامية في دارفور وطرابلس والقاهرة .

انتشار الثقافة العربية :

يمكن مقارنة تشاد من حيث التركيب الاجتماعي والثقافي بجمهورية السودان المجاورة ، وتبدو عناصر هذه المقارنة في أن الأجزاء الشمالية من البلدين شهدت قيام دول إسلامية ، وتأثرت تأثرا قويا بهجرات القبائل العربية القادمة من الشرق ومن الشمال ، ومن سمات هذه الهجرات أنها كانت تتشكل من قبائل بدوية ، كانت تألف نمطا بدويا من العيش ، علي تخوم مراكز الحضارة الإسلامية وتدخل في ألوان من الصراع ، مع المجتمعات الحضرية المستقرة ، في غمرة ظروف تاريخية حافلة بالاضطرابات السياسية والتغيرات ، ومن العوامل التي ساهمت في اتساع هذه الهجرات أن المواطن الجديدة وهي الأراضي الممتدة من شواطيء بحيرة تشاد باتجاه الشرق مرورا بسهل البطحاء ومرتفعات وداي إلي ما وراء إقليم دارفور بجمهورية السودان ، كانت امتدادا طبيعيا لما ألفه البدو في مواطنهم الأولي من هواء وأنواء ، وأنجد وسهول ، وشجر ونبات ، وطير وحيوان ، وكان أن غدت العربية والإسلام ، من فرط تدافع هذه الهجرات وكثافتها ، مقومين أصيلين من مقومات المجتمع .

ويضاف إلي ماذكرنا من عوامل ، أن حكام الدول الإسلامية التي قامت في هذا

الإقليم كانوا ينتسبون إلي أصول عربية ، يحكمون بشريعة الإسلام ويتخذون العربية لغة في دواوينهم ومجالسهم ومكاتباتهم ومعاملاتهم وفي كل شأن من شؤون معاشهم ، وكان من جراء ذلك ، أن غدت العربية هي اللغة المشتركة لجميع السكان ، بالرغم من وجود عدد كبير من الجماعات غير العربية التي تحتفظ بلهجاتها ، ويمكن للباحث أن يحصي بضعا وخمسين قبيلة عربية تنتمي في أصولها البعيدة إلي مجموعتين اثنتين ، عدنانية وقحطانية (١) وتنقسم من حيث نمط عيشها وحياتها الاجتماعية ، إلي مجموعتين اثنتين : الأبالة ، أي رعاة الإبل ، في الشمال ، ومن أهم قبائلهم العريقات والمحاميد والرزيقات والنوايبة ، والبقارة ، أي رعاة البقر ، وفي الوسط ، ومن أهم قبائلهم السلامات وأولاد راشد والمسيرية والجعاتنة وبنوهلبة والزيود ، وإلي جانب هذه القبائل العربية ، هناك مجموعات من القبائل المستعربة التي ظلت تحتفظ بلغاتها وتستخدم العربية وسيلة للتخاطب فيما بينها ، إلي جانب كونها لغة العبادة والعاملات التجارية والتعليم التقليدي ، ويأتي في مقدمة هذه المجموعات ، التوبو والكانمبو والزغاوة في الشمال ، المابا والتاما والمساليت والداجو والميمي والفلاتة والبرنو في السهل الأوسط الممتد من بحيرة تشاد إلي مرتفعات وداي .

ويجدر بنا أن نشير إلي أن هذه المجموعات قامت بدور هام وأساسي في التمكين للثقافة العربية الإسلامية ، وحسبنا أن نذكر في هذا المقام ، أن العناصر غير العربية كانت قوام الممالك الإسلامية التي عرض ذكرها فيما سبق ، فدولة وداي كانت تحكمها أسرة من المابا ودولة كانم - برنو ، كانت تحكمها أسرة من البرنو ثم من الكانمبو (٢) .

التعليم الإسلامي في سلطنتي وداي وكانم برنو:

ازدهر التعليم الإسلامي في الممالك الإسلامية بتشاد ، وورد فيما خلفه الرحالة والمؤرخون من آثار ، مايدل علي أن الثقافة العربية والإسلامية بلغت أوجها من النضج منذ زمد بعيد في دولة وداي خاصة ، ويرجع ذلك إلي عوامل عدة ، من أهمها موقع وداي المجاور للسودان ومصر ولانتشار العرب بين سكانها وامتزاجهم بهم ونشر اللغة العربية بينهم بشكل واسع جعلها تتميز في ذلك كله ، عن الممالك الإسلامية الأخري التي قامت في وسط إفريقيا .

وتقدمت وداي في علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعلوم القرآن من تفسير وقراءات . ويمكن القول إنه ما من بلد من بلاد المسلمين ، يضاهي إقليم وداي ، حتي يومنا هذا فيما يزخر به من حفظة وحملة قرآن ، وأكثر الروايات انتشارا في وداي ، رواية أبي عمر الدوري عن أبي عمرو بن العلاء . وتنتشر بين سكان المدن

والمجموعات غير العربية بوجه خاص ، ورواية ورش عن نافع ، وتنتشر بين القبائل العربية بوجه خاص ، وبدأت رواية حفص عن عاصم في الانتشار منذ منتصف القرن الحالي بفضل المصحف المطبوع.

وتتميز سلطنة وداي بانتشار التعليم بين عامة الناس ، في حين أنه كان إلي حد كبير امتيازا مقصورا علي الخاصة في سلطنة كانم - برنو .

ويهتم أهل تشاد إلي يومنا هذا ، بتعليم القرآن اهتماما شديد ويوفد الطفل بعد أن يبغ سن الخامسة إلي المسيد أو الخلوة وهي المؤسسات التقليدية التي يتم فيها تعلم القرآن وحفظه ، ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، كثرة انتشار هذه المساجد والخلاوي حتي أن التفكير في حصرها وإحصائها يظل أمرا صعب التحقيق في وقتنا الحاضر ، ذلك أنه ما من بيت من بيوت المدن الكبري أو القري أو الفرقان إلا وفيه مسيد يقيم فيه قوني أو فكي (٣) يؤم الصلوات ويعلم الصبية القرآن .

وعادة ما يبدأ الصبي تعلم القرآن قراءة ، فيحفظ الصبي قدرا من الآيات والسور ، ثم يعيد ماحفظه علي شيخه ، ثم عندما يستظهر عددا من السور ، يبدأ في تعلم الكتابة علي الطريقة البغدادية ، فيتعلم الحروف مفردة بأسمائها ألف ، باء ، تاء ، ثاء ، ثم يتعلمها مركبة ، ثم ينتقل إلي مرحلة الكتابة ، ويستمر الصبي في تعلم القرآن حفظا وكتابة ، حتي سن البلوغ وفيها يختم القرآن ، ومن الطلاب من يكتفي بختم القرآن دون استظهار ، ومنهم من يعيد الكرة مرات ومرات ، حتي يستظهره ويبرع في ذلك .

وتدار المساجد والخلاوي بحكم انتشارها الواسع ، بطرق مختلفة ، فبعضها ينتشر في أطراف المدن والقري والأماكن المستقرة ، ويستقبل طلابا يفدون من جهات بعيدة ويعتمدون في معيشتهم علي الصدقات وعلي الزراعة والأعمال اليدوية ، وبعض هذه المساجد متنقل ، وفيها يتبع الطلاب شيخهم في حله وترحاله ، وينتشر هذا النوع الأخير في غالب الأمر ، بين القبائل العربية البدوية ، من بقارة وأبالة ، ينتجعون الكلأ والمرعي ، فهم أبدا في حل وترحال ، وطلاب هذا النوع من المساجد يعتمدون في معيشتهم أيضا ، علي الصدقات والرعي والأعمال الأخري ، ومن المساجد ماهو ملحق بالبيوت الكبيرة في المدن والقري وهي بهذا جزء لايتجزأ من الدار ، لاتحتاج إلي مخصصات إضافية .

ويطلق علي الصبية الذين يؤمون هذه المساجد لفظة المهاجرين ، ذلك أن الصبي يترك في غالب الأحيان موطنه مهاجرا إلي أحد الشيوخ ، ومازلنا إلي يومنا هذا ، نشاهد في المدن والقري التشادية ، مجموعات من الصبية الصغار ينشدون بأصوات

عذبة وهم يطلبون الصدقات :

مهاجر
في شأن الله
في شان الرسول
يا عبدالله
مهاجر
في شان الله
في شان الرسول
يا خادم الله

وتجدر الإشارة في هذا المقام ، إلي أن تشاد ، علي رغم انتشار المساجد والخلاوي فيها بشكل واسع ، فإنها لم تعرف ظاهرة الخلاوي الكبري المعروفة في جمهورية السودان المجاورة كخلاوي أم ضبان وأبودليق وأبوحراز بنواحي الخرطوم والجزيرة وخلاوي المجاذيب والغبش بشمال السودان .

وينتقل الطالب بعد أن يختم القرآن ويستظهره كله أو جزءا منه ، إلي الحلقات التي تنعقد في المساجد فيتعلم الفقه والحديث والسيرة وغير ذلك ، وعادة ما يبدأ الطالب دراسته بالفقه ، متدرجا ، فيدرس العشماوي فالأخضري فابن عاشر فرسالة أبي زيد فمختصر خليل فموطأ الإمام مالك ، ثم ينتقل إلي دراسة الحديث مبتدءا بمتن الأربعين فابن أبي جمرة فرياض الصالحين فالصحاح الستة ، ثم ينتقل إلي التفسير مبتدءا بتفسير الجلالين فابن كثير ، وينتقل بعض الطلاب إلي دراسة النحو وعلوم العربية مبتدئا بالآجرومية بشرحيها : التوضيحات والكفراوي ، ثم الأزهرية في النحو ، فقطر الندي وبل الصدي ثم واصلا إلي ألفية ابن مالك (٤) .

وكانت سلطنات وداي وكانم برنو علي صلة بمراكز الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي في السودان ومصر وطرابلس وتونس ، وكان سلاطين هذه السلطنات يولون عناية فائقة بالمساجد والمؤسسات الإسلامية ويخصون العلماء والطلاب بالأعطيات والمنح ولم تكن رعايتهم مقصورة علي رعيتهم أو اهتمامهم منحصرا علي حدود ملكهم ومما تورده المصادر التاريخية في هذا الصدد ، أن السلطان محمد صالح دود مرة ، سلطان وداي ، كان قد أرسل ستة عشر قنطارا من العاج فبيعت ببنغازي وأمر بثمنها فأرسلت أربعة أخماسه إلي جوامع مكة والمدينة ، وأرسل خمسة لمعاونة طلاب وداي وسنار ودارفور بالأزهر ، وإلي جوامع مصر المحروسة (٥) .

التعليم الإسلامي أثناء الحقبة الاستعمارية :

بعد أن تم للسلطات الفرنسية السيطرة علي سلطنتي كانم برنو ووداي والمناطق الأخري التي شكلت فيما بعد بما يسمي اليوم بجمهورية تشاد ، عمد المستعمر إلي اجتثاث جذور الثقافة العربية الإسلامية وفرض مؤسسات تعليمية حديثة ، تستمد فلسفتها ورؤاها من الثقافة الفرنسية ، ومن الأحداث التي ترمز لبطش المستعمر وقسوته ووحشيته ورغبته في طمس مظاهر الثقافة العربية الإسلامية استئصال شأفة العلماء ، الحادثة المشهورة بمجزرة الكبكب (الساطور) التي ارتكبها الضابط الفرنسي الكابتن دكورلي ، في صفوة علماء وداي وأعيانها وهم يؤدون فريضة الصبح ، وكان ذلك يوم الخميس ٢٧ محرم ١٣٣٦ هـ (١٩١٧م) حين حصرتهم القوات الفرنسية بالنيران ثم شرعوا في حز رؤوس العلماء والمصلين بآلة الساطور ، وانتقل المشهد الدامي إلي مواقع أخري بمدينة أبشي ، واستمر من فجر يوم الخميس إلي عشية يوم الجمعة . ولم تسلم بقية مدن وداي من هذه المجزرة التي راح ضحيتها ما يتراوح بين أربعمائة إلي خمسمائة عالم وحافظ دفنوا كلهم في قبر جماعي في أم كامل ، وسط المدينة ، أما من أفلت من هذه المجزرة من العلماء ووجوه القوم ، فقد هاجروا إلي دارفور المجاورة ، ولايزال عقبهم بها حتي يومنا هذا ، ثم عمد الفرنسيون وأتباعهم إلي خزانات العلماء ، فجمعوا ما بها من كتب ومصاحف فأحرقوا معظمها وأرسلوا ماتبقي منها إلي المتاحف الفرنسية .

وتختلف الروايات حول الأسباب المباشرة لارتكاب هذه المجزرة ، إلا أنها تتفق جميعها (٦) في رغبة المستعمر في القضاء علي المقومات الحضارية والمؤسسات التعليمية والثقافية المتمثلة في المساجد والمسايد والعلماء في سلطنة وداي ، وفي غيرها من بلاد المسلمين ، في وسط إفريقيا ، كل ذلك تمهيدا لفرض مؤسسات تعليمية وثقافية جديدة ، تستمد فلسفتها ورؤاها من الفكر الفرنسي وترفد المؤسسات الإدارية الاستعمارية الجديدة بما تحتاج إليه من كتبة وموظفين .

وعلي الرغم من محاولات الفرنسيين الرامية إلي طمس مقومات الثقافة العربية الإسلامية لأهل وداي بوجه خاص ، وأهل تشاد بوجه عام ، فقد لاقت مؤسسات التعليم الفرنسي عزوفا شديدا من المواطنين " فعندما فرض الفرنسيون علي الأمراء والسلاطين ورؤساء القبائل إرسال أبنائهم إلي هذه المدارس ليضمنوا جيلا من الحكام المتعلمين، كان بعضهم يدفع بديه وخدمه إلي هذه المدارس علي أنهم أبناؤه (٧) بينما كانوا يرسلون أبناءهم وصفوة شبابهم لتلقي العلم في دارفور المجاورة وفي المعهد العلمي بأمدرمان والجامع الأزهر بمصر المحروسة ، وللباحث التشادي المرموق

عيسي حسن خيار دراسة مفصلة عن عزوف أهل وداي عن المدرسة العمومية (الفرنسية) وهجرة صفوة شبابهم إلي دارفور المجاورة لتلقي العلم بالمدارس الحديثة التي أنشاتها الإدارة الإنجليزية بالسودان وزاوجوا فيها بين نظام الخلاوي القديمة وأساليب التعليم الحديث ولم يغلبوا فيها لغة المستعمر علي لغة السكان العربية ، ويذكر الباحث في هذا الصدد " أن غالب سكان وداي أبدوا رفضا وقدرا من اللامبالاة تجاه المدرسة العمومية (الفرنسية) ، إذ لم يكن في وسعهم الانسلاخ عن الإسلام، عقيدتهم ، أو العربية ، لغتهم ، فالمدرسة العمومية إنما كانت تعلم الناس باللغة الفرنسية ، اللغة الرسمية ، في حين أن العربية الدارجة كانت لغة التخاطب التي يتكلمها سكان وداي كلهم (كيلا نقول غالب السكان في تشاد) ، حتي أن بعض القبائل الأصلية هجرت لغاتها المحلية واصطنعت العربية الدارجة لغة لها (٨).

ولم يكد القرن ينتصف حتي توافدت صفوة الشباب المتعلم من مصر والسودان وقيض الله للتعليم العربي الإسلامي أن ينهض علي أيدي نفر من أمثال الشيخ محمد الطيب الطاهر والشيخ إسماعيل والشيخ محمد صالح علي ويأتي في مقدمة هؤلاء النفر الشيخ محمد عليش عووضة .

" عاد الشيخ محمد عليش عووضة من مصر إلي تشاد بعد إتمام دراسته الجامعية في الأزهر الشريف فأسس في مدينة أبشي معهدا علميا عام ١٩٤٦ وجعل إدارته ومناهجه الدراسية تحت إشراف الجامع الأزهر ، فتطور هذا المعهد بسرعة أذهلت السلطات الفرنسية ، حتي بلغ عدد تلاميذه في فترة وجيزة أكثر من ٣٥٠ تلميذا فأعاقت الإدارة الفرنسية تقدمه ، محاربة منها للغة العربية والثقافة الإسلامية في البلاد ، فحاكت حوله المؤامرات ثم أمرت بإغلاقه في عام ١٩٥٣ ، ونفت مؤسسه إلي السودان ".

" وعلي الرغم من ذلك ، ظل الطلبة الذين تخرجوا من هذا المعهد بالاشتراك مع زملائهم الذين عادوا من الأزهر ، يواصلون نشاطهم في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، إذ أخذ بعضهم يلقي درسا في المساجد وبعضهم يعطي درسافي البيوت والبعض الآخر فتح معاهد ومدارس دينية في مختلف المدن التشادية (٩).

ثم توالي تأسيس المعاهد الدينية بمدينة أبشي فأنشيء معهد التربية الإسلامية سنة ١٩٥٤ والمركز الإسلامي سنة ١٩٥٥ ومعهد الثقافة الإسلامية سنة ١٩٥٦ ، أما مدينة انجمينا فقد شهدت إنشاء معهد النهضة العربية في سنة ١٩٥٨ .

وإزاء عزوف المسلمين عن المدرسة الفرنسية وإقبالهم علي التعليم الديني الذي بدأت تنتشر معاهده ، لم تجد السلطات الفرنسية بدا من إدخال مادة اللغة العربية في

مدارسها ، وكانت المدرسة العربية الفرنسية الإعدادية التي افتتحت بمدينة أبشي سنة ١٩٥٦ ، أول مدرسة حكومية فرنسية تدرس فيها مادة اللغة العربية ، ومما يجدر ذكره ، أن هذه المدرسة تطورت فيما بعد وأصبحت تضم المرحلة الثانوية ، بدءا من سنة ١٩٦٣(١٠)

وقد كان لهذا الوضع الشاذ أثر كبير في تحديد مستقبل البلاد بعد الاستقلال ودخول الشمال في صراع طويل مع السلطة الوطنية الجديدة وتأجج الصراع بين الشمال والجنوب لاسيما أن الوضع في جنوب البلاد ذي الطابع الوثني ، كان مختلفا جدا ، فقد نشأت فيه المدارس الحديثة إلي جنب الكنائس والخدمات الطبية والمستشفيات " فانتشرت الثقافة الفرنسية في الجنوب وأخذت مدارس الرهبان تمد الحكومة أو الإدارة الفرنسية والشركات ، بحاجتها من الفنيين والإداريين ، خاصة وأن لغة البلاد الرسمية إصبحت هي اللغة الفرنسية ، وفي حين كانت نسبة التعليم الابتدائي في بداية الستينات تكاد تصل إلي ٣٤٪ من عدد الأولاد الذين في سن المدرسة الابتدائية في الجنوب ، وكانت نسبة التعليم في الشمال منخفضة انخفاضا شديدا في كل المحافظات حيث لا تتجاوز ٥٪ ، وقد عمل (هذا الوضع) علي خلق هوة عميقة بين المواطنين ، وأتاح لمشاعر النقص والاستعلاء أن تعمل عملها في تعميق هذه الهوة (١١) .

وضع التعليم في فترة ما بعد الاستقلال :

حاولت الدولة معالجة الوضع بتحويل المدارس الثانوية إلي مدارس ثنائية اللغة ، علي غرار المدرسة الفرنسية العربية التي افتتحت بأبشي في عهد الاستعمار وقررت إدخال اللغة العربية في مناهج المدارس الحكومية في سنة ١٩٥٢. ورغم ذلك ، فقد ظل المواطنون في عزوفهم القديم عن المدرسة الرسمية ، يصرفهم عنها توجهه العلماني وضعف مناهج اللغة العربية فيها ووضعها الاختياري ، إذ لم تكن دراستها أو النجاح فيها شرطا من شروط مواصلة التعليم ، فلجأ المواطنون في ظل هذا الوضع إلي إنشاء المعاهد العلمية الأهلية برغم ما كان يكتنفها من قصور في نظمها ومناهجها وإعداد معلميها ، وكانت هذه المؤسسات الأهلية مقتبسة من العاهد العلمية الدينية في الدول العربية بوجه عام وفي جمهورية السودان بوجه خاص . وفي منتصف السبعينات بدأ انتشار المدارس الأهلية العربية التي تحذو في مناهجها ونظمها ، حذو المدارس الرسمية في الدول العربية (١٢).

ونتج عن إقبال المواطنين علي هذا النوع من التعليم الذي يستجيب لمقوماتهم الثقافية والاجتماعية ، أن انتشرت هذه المدارس وتنوعت ونشأ إلي جانب المدارس

الأهلية مدارس الجاليات العربية وقررت الدولة في مطلع الثمانينات الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية ، وتبع ذلك الاعتراف بالمدارس العربية الأهلية والخاصة وأصبحت الدولة تشارك في تنظيم الامتحانات وتمنح الشهادات وتساعد في توفير المعلمين ، وأنشأت الدولة في إطار هذه السياسة الجديدة في سنة ١٩٨٢ قسما تابعا لمعهد المعلمين ، يضطلع بتأهيل معلمي اللغة العربية لرفد المدارس الرسمية والمدارس الأهلية ، ولعل في الجدول الوارد فيما يلي ، توضيحا وبيانا لوضع المدارس ، من حيث فئاتها ولغة التعليم فيها ، في يومنا هذا :

جدول رقم (١) فئات المدارس بجمهورية تشاد ولغة التعليم فيها :

الفئة	تصنيفها	لغة التعليم	اللغة الثانية اجبارية	ملاحظات
المدارس الرسمية *	الفرنسية	الفرنسية	العربية	يدرس فيها المنهج الرسمي الفرنسي
	العربية	العربية	الفرنسية	يدرس فيها المنهج الرسمي العربي
	المزدوجة	الفرنسية والعربية		يدرس فيها المنهجان الرسميان الفرنسي والعربي
المدارس الاهلية تخضع لمراقبة الدولة	الفرنسية	اللغة الفرنسية	العربية	يدرس فيها المنهج الفرنسي
	العربية **	اللغة العربية	الفرنسية	تدرس فيها مناهج عربية سودانية أو ليبية أو مصرية
المدارس الخاصة (تخضع لمراقبة الدولة)	العربية **	اللغة العربية	الفرنسية	يدرس فيها المنهج العربي
	المزدوجة	الفرنسية والعربية		يدرس فيها المنهج الرسمي الفرنسي والعربي
مدارس الجاليات	فرنسية	الفرنسية	العربية	يدرس فيها المنهج الفرنسي
	عربية	العربية	الفرنسية	يدرس فيها المنهج السوداني

* يبلغ عددها في آخر إحصاء (١٩٩٦) ٢٤٧١مدرسة ، منها ٢٤٥٢ ابتدائية و١٩ اعدادية في جميع أجزاء الجمهورية .

** يبلغ عددها في آخر إحصاء ١٩٩٦، ١١٩ مدرسة منها ٩٥ ابتدائية و١٤ إعدادية و١٠ ثانوية ، وتتركز في الجزء الشمالي من الجمهورية (محافظات وداي والبطحاء وشاري - باقرمي).

جدول رقم (٢) المدارس العربية الأهلية والخاصة وعدد طلابها وتلاميذها

المرحلة	عدد المدارس	عدد التلاميذ والطلاب		مجموع التلاميذ
		بنين	بنات	
ابتدائية	٩٥ *	١٢٥٩٣	٧٦٦٤	٢٠٢٤٧
إعدادية	١٤	١٠٧٢	٦٥١	١٧٢٣
ثانوية	١٠	٢٠٠٦	٧٤٤	٢٧٥٠
المجموع الكلي	١١٩	١٥٦٦١	٩٠٥٩	٢٤٧٢٠

* تشير الإحصاءات إلي نسبة ٢ر٧٢٪ من مجموع هذه المدارس توجد في كل من انجمينا وفيها ٣٠ مدرسة ابتدائية وأبشي فيها فيها ٣٠ مدرسة ابتدائية وعاطية - البطحاء وبها ١٦ مدرسة ابتدائية .

ملاحظات :

- مصدر هذه الإحصاءات وزارة التربية الوطنية بجمهورية تشاد ، فبراير ١٩٩٦- تخضع المدارس العربية الأهلية والخاصة لإشراف الوزارة ، وتدرس بها كل المواد الحديثة

جدول رقم (٣) اهم المدارس العربية الاهلية والخاصة والتابعة للجاليات

اسم المدرسة	موقعها	المراحل المتوفرة بها	منهج التدريس بها	ملاحظات
المعهد العلمي(أم سويقو)	أبشي	إبتدائية ومتوسطة وثانوية	المنهج الازهري	انشأه الشيخ محمد عليش عروضة
معهد التربية الإسلامية	أبشي	إبتدائية ومتوسطة وثانوية	المنهج الأزهري	
المركز الإسلامي	إبشي	ابتدائية ومتوسطة وثانوية	المنهج الأزهري	
روضة الأحباب	أبشي	ابتدائية ومتوسطة وثانوية	منهج سوداني	
ثانوية الملك فيصل	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة وثانوية	منهج تشادي وأزهري	
ثانوية مسجد النور	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة وثانوية	مصادره مختلفة	
مدرسة الجيل الصاعد	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة وثانوية	مصادره مختلفة	
المدرسة الشعبية	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة	مصادره مختلفة	
مدرسة الدعوة الإسلامية	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة		
مدرسة قجة العربية	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة		
المعهد الإسلامي الكويتي	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة وثانوية	منهج سوداني	تشرف عليه لجنة مسلمي افريقيا
مدرسة الصداقة السودانية التشادية	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة وثانوية	منهج سوداني	تشرف عليه وزارة التربية والتعليم السودانية
المعهد العلمي	انجمينا	ابتدائية ومتوسطة وثانوية	منهج ازهري	
المعهد الصناعي	انجمينا	ثانوية		
ثانوية ابن سينا	انجمينا	متوسطة وثانوية	منهج تشادي فرنسي مع تركيزعلي اللغة العربية والتربية الإسلامية	تشرف عليه منظمة الدعوة الإسلامية.

ملاحظات :

تدرس جميع المواد الحديثة في هذه المدارس .المناهج والمقررات تتنوع بين الأزهري والسوداني وبعض المدارس لا تقتصر علي منهج واحد فتجمع بين المنهج الأزهري والسوداني والسعودي والليبي ، حسبما هو متوافر ..

في وسع المرء أن يستخلص مما سبق بيانه وذكره ، أن الدواعي والدوافع الثقافية والاجتماعية لإنشاء المدارس العربية الأهلية والخاصة في جمهورية تشاد (أو في الأجزاء الوسطي والشمالية فيها علي أقل تقدير) ، لهي أقوي من أن تتجاوزها أو تغفل عنها الخطط التربوية ذات المنحي الموضوعي المجرد ، وأن المدرسة الرسمية ، ستظل إلي وقت طويل ، عاجزة عن تحقيق الانسجام المطلوب وعن تلبية تطلعات المواطن التشادي ، ما لم تصل إلي صيغة جديدة تخف فيها وطأة العلمانية الصارمة . وإلي أن تتوافر الشروط اللازمة لمعالجة هذه الازدواجية التربوية والتعليمية ، فإن المدارس العربية الأهلية والخاصة ، ستستمر في الزيادة والانتشار وقد لا يمضي وقت طويل قبل أن تتفوق في عددها علي رصيفاتها من المدارس الرسمية .

علي أن للتعليم العربي ، أهليا كان أو خاصا أو ثنائي اللغة ، مشاكله التي نوجز أهمها فيما يلي :

المناهج والمقررات الدراسية :

بعد أن قررت الدولة إعادة الاعتبار إلي اللغة العربية وجعلها لغة رسمية ، تقرر إعداد منهج عربي مترجم ومقتبس من منهج اللغة الفرنسية الذي كان سائدا ، وتم بالفعل الوصول إلي مواضيع منهجية موحدة ، مزدوجة اللغة ، عربية وفرنسية ، وظلت هذه الخطوة ناقصة ، فلم يعقبها توفير المقررات والمطبوعات والكتب المدرسية التي تعين الأستاذ علي تدريس المواد المختلفة باللغة العربية . ولعل في هذا بيانا للأسباب التي دعت المدارس العربية الأهلية والخاصة ، إلي الاستعانة بالمناهج التعليمية وإلي المقررات والكتب الدراسية العربية ، الوافدة من السودان ومصر وليبيا والسعودية وغيرها .

وتسعي وزارة التربية الوطنية التشادية إلي معالجة هذا القصور ، بالإعداد لمشروع " ترجمة الكتاب المدرسي " في إطار سياسة الثنائية اللغوية في النظام التعليمي التشادي . ويهدف هذا المشروع إلي ترجمة المنهج المدرسي للمرحلة الابتدائية من الفرنسية إلي العربية وترجمة مواد الرياضيات والعلوم الطبيعية والجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية ، إلي اللغة العربية بتكلفة لا تتجاوز ١٠٠٠٠ دولار أمريكي ، وقد ترى مؤسسات العمل العربي الإسلامي المشترك من منظمات تربوية وثقافية وجهات مانحة وغيرها ، أن تدعم هذا المشروع الاستراتيجي قليل التكلفة ، الذي يدخل في نطاق الأمن الثقافي للأمة العربية الإسلامية .

- التأهيل :

يضطلع بتدريب المعلمين المعربين وتأهيلهم في يومنا هذا في جمهورية تشاد

مؤسستان :

- معهد أبشي المزدوج لتأهيل المعلمين ، ويتخرج فيه معلمو المرحلة الابتدائية ولا تتجاوز طاقته ٥٠ معلما في السنة .

- معهد انجمينا العالي لتأهيل المعلمين ، ويتخرج فيه معلمو المرحلتين المتوسطة والثانوية ولا تتجاوز طاقته ١٥ معلما مؤهلا للتدريس في المرحلة المتوسطة و٥ معلمين مؤهلين للتدريس في المرحلة الثانوية .

ولتبيان مزيد من المعلومات والإحصاءات حول الوضع الراهن لتأهيل المعلمين المعربين نورد الجدول التالي :

جدول رقم (٤) : المعلمون المعربون المؤهلون وغير المؤهلين في المراحل المختلفة *

المرحلة		معلم مؤهل **	معلم غير مؤهل **
الابتدائية	حكومية	٣٥٦	٢٠٩٦
	أهلية	٢٠٠	٦٩٧
المتوسطة والثانوية (حكومية وأهلية)		١٤٥	٣٠٦
المجموع		٧٠١	٣٢٦٥

* جمعت هذه البيانات والإحصاءات خلال رحلة عمل ميدانية قامت بها الإيسيسكو في انجمينا في سبتمبر ١٩٩٥ في إطار الإعداد لدراسة ميدانية لإنشاء مركز تربوي يعني بتأهيل المعلمين أثناء الخدمة

** بواقع معلم واحد لكل مدرسة

يتضح من البيانات والإحصاءات السابقة ، أن جمهورية تشاد قد تحتاج وفق طاقة التأهيل الحالية التي لا تتجاوز ٧٠ معلما في السنة للمراحل المختلفة ، إلي نصف قرن كي توفر لكل مدرسة معلما واحد مؤهلا ، وتفكر الوزارة إزاء هذا النقص ، في استحداث نظام معلم الفصل في المرحلة الابتدائية ، ويقتضي هذا النظام تكليف معلم واحد بتدريس كل المواد باللغة العربية في المدارس العربية والمزدوجة ، وتفكر الوزارة أيضا في تأهيل المعلمين الحاليين (الذين يدرسون باللغة الفرنسية) وفق برامج معينة كي يكتسبوا اللغة العربية ، ثم يدرسوا بها فيما بعد .

ويجدر بنا في هذا السياق أن نشير إلي الدراسة الميدانية التي قامت بها الإيسيسكو بهدف إنشاء مركز تربوي يعني بتدريب المعلمين المعربين ، غير المؤهلين ، أثناء الخدمة لما لهذا النمط من التدريب ، من مميزات تتلخص في أنه يتيح فرص التأهيل لأعداد كبيرة من المعلمين ، خلال مدة لاتقل عن سنة دراسية كاملة ويمنح المعلم شهادة معترفا بها من قبل الدولة ، تتيح له فرص الارتقاء مهنيا ووظيفيا ، كل ذلك في حدود تكلفة محدودة قد لا تتجاوز في العام الواحد ، ما تكلفه دورة تدريبية قصيرة من نوع الدورات التي درجت علي عقدها المنظمات المتخصصة والمؤسسات الأكاديمية ، علي الرغم مما يكتنفها من أوجه قصور تتلخص في قصر مدتها وارتفاع تكلفتها ومحدودية عدد المستفيدين منها ، إلي جانب أنها لا تتيح للمتدرب الحصول علي شهادة تؤهله لمتابعة دراسته الأكاديمية والارتقاء وظيفيا .

- وضع المدارس القرآنية (المساجد والخلاوي) في يومنا هذا :

لا تزال المدارس القرآنية تقوم بدورها الذي أتينا علي ذكر طرف منه ، في معرض الحديث عن التعليم الإسلامي في سلطنتي وداي وكانم - برنو . فقد شكلت هذه المدارس نواة التعليم في شمال البلاد وتحملت عبء محو الامية ونشر الثقافة العربية الإسلامية علي مدي واسع وعلي الرغم مما أصاب هذه المؤسسة من ابتلاءات علي أثر مجزرة " الكبكب " فإنها مازالت منتشرة في البيوت والأحياء والقري والفرقان وتعتمد علي الوسائل التقليدية والتعليم فيها طوعي يعتمد علي دعم المواطنين وجهد الشيخ المعلم ، الذي يكاد يؤدي عمله لوجه الله ، معتمدا علي الصدقات والأعطيات ومسخرا طلابه المهاجرين " علي أعمال ذكرنا طرفا منها ، لسد رمقه ورمقهم .

ولاتزال هذه المدارس القرآنية تستقبل طلابا ذوي أعمار متفاوتة ، يتعلمون فيها القرآن الكريم والحديث والفقه والتوحيد وشيئا من السيرة النبوية الشريفة ، وقد بدأت في الآونة الأخيرة ، تستقبل بعض طلاب المدارس الرسمية (العلمانية) في جزء من النهار أو الليل ، وهم يقصدونها ، رغبة منهم (أو من أولياء أمورهم) في سد أوجه النقص في ثقافتهم العربية الإسلامية التي لا تتوافر في المدارس الرسمية الحكومية ، إذ لا مكان للتعليم الديني (إسلاميا كان أو نصرانيا) في خارطة التعليم الرسمي.

وتشرف إدارة الشؤون الدينية بعض الإشراف ، علي بعض المدارس القرآنية ولايعدو هذا الإشراف وضع الإحصاءات ، وهو أمر تكتنفه صعوبات وعقبات كثيرة بحكم انتشار هذه المدارس القرآنية وتنوعها بحيث يصعب حصرها وتصنيفها ، وقد حاولت إدارة محو الأمية الإفادة من المدارس القرآنية فاتخذت منها مراكز لمحو الأمية في محافظتي وداي وشاري باقرمي ، وأبانت التجربة عن نجاح بالغ إذ أبدي الدارسون

إقبالا منقطع النظير وبلغ عدد المراكز خلال سنة واحدة، ٢٣ مركزا ، وهو عدد يفوق عدد مراكز محو الأمية باللغة الفرنسية ، وتسعي إدارة محو الأمية إلي إدخال المواد التعليمية الحديثة كالرياضيات والثقافة العامة وإضافة بعض المناشط الاقتصادية التي من شأنها تنمية موارد البيئة المحلية .

المراجع:

(١) راجع عبدالرحمن عمر الماحي ، تشاد من الاستعمار حتي الاستقلال (١٨٩٤ - ١٩٦٠ ص ٨٠

(٢) راجع محمد صالح أيوب ، مجتمعات وسط إفريقيا ، ص ٢٦

(٣) لفظتان تطلقان علي الحفظة والشيوخ وتعنيان بلوغ الحافظ درجة عالية في الحفظ والتجويد . وعادة ما تطلق لفظة فكي علي حفظة رواية أبي عمر الدوري بينما تطلق لفظة القوني علي حفظة رواية ورش عن نافع - وترجع لفظة فكي في أصولها إلي فقيه العربية ، أما كلمة قوني فأصلها غامض ، وهناك من ينسبها إلي لغة هوسا وهو أمر يحتاج إلي تثبت .

(٤) راجع محمد صالح أيوب ، مجتمعات وسط إفريقيا ص ٢٧.

(٥) محمد صالح أيوب ، مجتمعات وسط إفريقيا ص ٢٩ نقلا عن مجلة البحوث التاريخية ، طرابلس يناير ١٩٨١ ص ١٠٦.

(٦) لمزيد من التفصيل ، راجع : محمد صالح أيوب ، امتداد الحضارة الإسلامية نحو بحيرة تشاد ، مخطوط ، ص ١١٣

(٧) عبدالرحمن عمر الماحي ، تشاد من الاستعمار حتي الاستقلال (١٨٩٤-١٩٦٠) ص ١٠١.

(8) Issa Hassan Khayar , Le Refus de I Ecole, Contribution à l'étude des problèmes de l éducation chez les musulmans du Ouddaï (Tchad),Librairie d'Amérique et d'Orient, Paris 1976 , p.p . 113

(٩) عبدالرحمن عمر الماحي ، تشاد من الاستعمار حتي الاستقلال ١٨٩٤-١٩٦٠) ص ١٠٢.

(١٠) راجع أحمد محمد موسي ، المشكلات التي تواجه التعليم العربي في تشاد ، بحث لنيل درجة الدبلوم ، معهد الخرطوم الدولي ، ابريل ١٩٨٥ ، ص ٥٩

(١١) عبدالرحمن عمر الماحي ، تشاد من الاستعمار حتي الاستقلال (١٨٩٤ - ١٩٦٠) ص ١٠٨.

(١٢) معلومات شفوية أدلي بها الاستاذ محمد آدم مقدم المسؤول عن قسم ثنائية التعليم بوزارة التربية الوطنية ، انجمينا ، فبراير ١٩٩٦.